صوامت تبدي النطق وهي سواكن   تحرك تهدي النور غير ضوية
وتضحك إعجابا كأجذل فارح   وتبكي انتحابا مثل ثكلى حزينة
وتندب إن أنت على سلب نعمة   وتطرب إن غنت على طيب نغمة
ترى الطير في الأغصان يطربك سجعها   بتغريد ألحان لديك شجية
وتعجب من أصواتها بلغاتها   وقد أعربت عن ألسن أعجمية
وفي البر تسري العيس تخترق الفلا   وفي البحر تجري الفلك في وسط لجة
وتنظر للجيشين في البر مرة   وفي البحر أخرى في جموع كثيرة
لباسهم نسج الحديد لبأسهم   وهم في حمى حدي ظبا وأسنة
فأجناد جيش البر ما بين فارس   على فرس أو راجل رب رجلة
وأكناد جيش البحر ما بين راكب   مطا مركب أو صاعد أثر صعدة
فمن ضارب بالبيض فتكا وطاعن   بسمر القنا العسالة السمهرية
ومن مغرق في النار رشقا بأسهم   ومن محرق في الماء زرقا بشعلة
ترى ذا مغيرا باذلا نفسه وذا   يولي كسيرا تحت ذل الهزيمة
وتشهد نصب المنجنيق ورميها   لهدم الصياصي والحصون المنيعة
وتلحظ أشباحا تراءى بأنفس   مجردة في أرضها مستجنة
تباين أنس الإنس صورة لبسها   لوحشتها والجن غير أنيسة
وتطرح في النهر الشباك فتخرج ال   سماك يد الصياد منها بسرعة
ويحتال بالأشراك ناصبها على   وقوع خماص الطير فيها بحبة
ويكسر سفن اليم ضاري دوابه   وتظفر آساد الشرى بالفريسة
ويصطاد بعض الطير بعضا من الفضا   ويقنص بعض الوحش بعضا بقفرة
وتلمح منها ما تخطيت ذكره   ولم أعتمد إلا على خير ملحة
وفي الزمن الفرد اعتبر تلق كلما   بدا لك لا في مدة مستطيلة
وكل الذي شاهدته فعل واحد   بمفرده لكن بحجب الأكنة

إذا ما أزال الستر لم تر غيره   ولم يبق بالأشكال إشكال ريبة
وحققت عند الكشف أن بنوره   اهتديت إلى أفعاله في الدجنة
كذا كنت ما بيني وبيني مسبلا   حجاب التباس النفس في نور ظلمة
لأظهر بالتدريج للحس مؤنسا   لها في ابتداعي دفعة بعد دفعة
قرنت بجدي هزل ذاك مقربا   لفهمك غايات المرامي البعيدة
ويجمعنا في المظهرين تشابه   وليست لحالي حاله بشبيهة
فأشكاله كانت مظاهر فعله   بستر تلاشت إذ تجلى وولت
وكانت له بالفعل نفسي شبيهة   وحسي كالأشكال واللبس سترتي
فلما رفعت الستر عني كرفعه   بحيث بدت لي النفس من غير حجبة
وقد طلعت شمس الشهود فأشرقت   الوجود وحلت بي عقود أخية
قتلت غلام النفس بين إقامتي   الجدار لأحكامي وخرق سفينة
وعدت بإمدادي على كل عالم   على حسب الأفعال في كل مدة
ولولا احتجابي بالصفات لأحرقت   مظاهر ذاتي من سناء سجيتي
وألسنة الأكوان إن كنت واعيا   شهود بتوحيدي بحال فصيحة
يشير بحب الخلق بعد تقرب   إليه بنفل أو أداء فريضة
وجاء حديث باتحادي ثابت   روايته في النقل غير ضعيفة
وموضع تنبيه الإشارة ظاهر   بكنت له سمعا كنور الظهيرة
تسببت في التوحيد حتى وجدته   وواسطة الأسباب إحدى أدلتي
ووحدت في الأسباب حتى فقدتها   ورابطة التوحيد أجدى وسيلة
وجردت نفسي عنها فتوحدت   ولم تك يوما قط غير وحيدة
وغصت بحار الجمع بل خضتها على   انفرادي فاستخرجت كل يتيمة
لأسمع أفعالي بسمع بصيرة   وأشهد أقوالي بعين سميعة
فإن ناح في الأيك الهزار وغردت   جوابا له الأطيار في كل دوحة

Copyright © King Saud University